النقد عند سقراط و أفلاطون

عناصر المحاضرة :

1-النقد في البيئة اليونانية.

2-النقد عند سقراط.

3-النقد عند أفلاطون

1- النقد في البيئة اليونانية:

يمكن القول إن أقدم مجتمع عنى بالنقد الأدبي عناية فائقة هو المجتمع اليوناني، نظرا لما تميز به هذا المجتمع من تفكير عميق و وعي فلسفي كبير وجها كل العلوم توجيها نورانيا. فإذا "كان الشعر عند أمة اليونان قد حظي بأوفر حظ من عناية الشعراء بتأليفه و عناية الشعب اليوناني بإنشاده و تمثيله ، فقد كان من الطبيعي أن ينشأ عندهم فن النقد لتقويم هذا التراث الضخم ، و بيان ما فيه من زيف أو ضعف ، وللإشادة بالمثل الجيدة منه"(1) و قد اضطلع بهذه المهمة أكبر فلاسفة اليونان، حيث لم يكن الفعل النقدي منفصلا عن فعل التفكير/التفلسف ، و من تم قدموا تحليلات و تنظيرات و تحذيرات بشأن الأعمال الأدبية ، اجتمعت في تراث نقدي ضخم ظل النقاد على مر العصور يعودون إليه ، و ينهلون من إضاءاته. و سنقف في هذه المحاضرة عند كل من سقراط وأفلاطون محاولين تتبع أسس النظرية النقدية في آثارهما.

2-النقد عند سقراط: عاش سقراط في الفترة مابين469 ق.م و399 ق.م و اتسمت حياته بالغرابة " عادة ما كان سقراط يُرى في السوق وفي الأماكن العامة الأخرى، يتناقش مع كافة أنواع الناس . صغارًا وكبارًا، رجالًا ونساءً، عبيدًا وأحرارًا، أغنياء وفقراء . وفعليا، مع كل من

يمكن أن يغريه على مشاركته في تقصي الأمور المهمة، من خلال السؤال والجواب. كان شغف سقراط في حياته هو تفحص واختبار حياة الناس؛ حياته وحياة الآخرين، وذلك لأن "الحياة التي لا تُمتحن بالتحديات، هي حياة لا تستحق أن تُعاش"(2) كما قال أثناء محاكمته. و يبدو أن بعض ما قدمه سقراط قد ضاع ، فهو لم يكن معنيا بكتابة ما يقول ، و ما بقي منه نقله في الغالب تلميذه أفلاطون في "المحاورات" . مارس سقراط السلوك النقدي فانتقد الديمقراطية ، و انتقد الدين مما استوجب اتهامه بإفساد الشباب و المجتمع الأثيني ، فحوكم و قتل مسموما ، و كان بذلك من أوائل شهداء الرأي و الفكر في التاريخ البشري .و يمكن أن نتمثل أثر الفكر النقدي عند سقراط من خلال حديثه عن الخطابة و عن الشعر . ففي دفاعه عن نفسه أمام محاكميه يقول :" لست أدري أيها الأثينيون كيف أثر مُتّهمي في نفوسكم ، أما أنا فقد أحسست لكلماتهم الخلابة أثرا قويا نسيت معه نفسي ، و أنهم لم يقولوا من الحق شيئا ، و لشد ما دهشت إذ ساقوا في غمرة باطلهم نذيرا لكم أن تكونوا على حذر، فلا تخدعكم قوة فصاحتي . إني إذا نبست ببنت شفة نهضت لكم دليلا على عيّ لساني ، و افتضح أمرهم ، و أنهم بذلك عالمون ، و لكنهم يمارون و لا يخجلون ...أم تراهم يطلقون الفصاحة على قوة الحق . ألا ما أبعد الفرق بيني و بينهم ! فهم كما أنبأتكم لم ينطقوا كلمة صدق ، أما أنا فخذوا الحق مني صراحة ، و لن أصوغها عبارة خطابية منمقة كما فعلوا"(3) و يلاحظ القارئ إشارات سقراط إلى السفسطائيين و إلى خطورة الخطابة و الكلمة البليغة . فللخطابة " فهناك نظرتان إلى اللغة : إحداهما أنها وسيلة التعبير عن حقائق الأشياء أو هكذا يجب أن تكون . و النظرة الأخرى ، و هي نظرة السفسطائيين ،أن هذه اللغة ينبغي أن تكون مطاوعة ، و أن تكون صالحة لتقرير جميع الآراء ، تستطيع أن تثبت المعاني و الأفكار كما تستطيع أن تثبت أضدادها بالأدلة الخطابية و بوسائل البلاغة الخلابة"(4). إن الخطيب يشتغل على الصناعة اللغوية المثيرة ليجذب انتباه المتلقي ويسيطر عليه، و في أثناء ذلك قد تكتسي الحقيقة وجها آخر. و على العموم فالخطابة برأي سقراط خارجة عن الحقيقة و هي " نوع من الجدل أو هي الجدل بعينه" (5)

إن الفكرة السابقة انعكست على رأي سقراط في الشعر و الشعراء ، فهم لا يعنون ما يقولون ، و هم بعيدون عن الحكمة ، و لا يعتد بهم في البحث عن الحقيقة .يقول : " الشعراء لا يصدرون في الشعر عن حكمة ، و لكنه ضرب من النبوغ و الإلهام ، إنهم كالقديسين أو المتنبئين الذين ينطقون بالآيات الرائعات ، و هم لا يفقهون معناها ! هكذا رأيت الشعراء ، و رأيت فوق ذلك أنهم يعتقدون في أنفسهم الحكمة فيما لا يملكون فيه من الحكمة شيئا استنادا إلى شاعريتهم القوية" (6).و لعل سقراط بهذا المذهب قد أسس لنظرية الإلهام التي سيضيف لها أفلاطون تفاصيل أخرى.

3- النقد عند أفلاطون: ولد أفلاطون في أثينا سنة 428ق.م و ترعرع في كنف عائلة أرستقراطية سهرت على تربيته و تثقيفه على أعلى مستوى ، فكان بارعا في الرياضيات ، مهتما بالفنون ، و قد تعاطى في مراهقته الرسم و الشعر ، ثم تراجع عنهما عندما تعرف إلى سقراط و هو على مشارف العشرين من عمره. وقد تأثر به أيّما تأثر، فأخذ عنه علوم المنطق و الأخلاق ، و هجر الفنون متجها إلى التأمل الفلسفي و التفكير بشؤون السياسة بحثا عن دولة ديمقراطية و جمهورية فاضلة قوامها العلم و الأخلاق. وقد اشتهر أفلاطون بتأسيسه **لنظرية المحاكاة** التي ستخوض فيها أجيال النقاد و الفلاسفة من بعده كلما تعلق الأمر بالبحث في طبيعة الأدب. إن الوجود برأي أفلاطون " ينقسم إلى ثلاث دوائر : فالدائرة الأولى هي دائرة المثل و المدركات العقلية ، و هي دائرة الحقائق الكلية ، و الدائرة الثانية هي دائرة العالم المحسوس و الطبيعة و الواقع ، و الدائرة الثالثة هي دائرة الفنون ، و العلاقة التي تربط بين هذه الدوائر الثلاث هي علاقة محاكاة و تقليد " (7) إن الدائرة الأولى هي عالم المثل و هو عالم سام من صنع "الإله" يتضمن الجمال اللامتناهي و الكمال المطلق أو هو عالم الحقيقة ، أما الثانية فهي الوجود الذي نحيا به و هو تقليد لعالم المثل ، و لذلك يظل صورة ناقصة عن الحقيقة/الأصل. أما الفن فهو محاكاة لهذه الصورة الناقصة : إنه تقليد التقليد أو محاكاة المحاكاة ،و هي "محاكاة محرفة عابرة خادعة ماسخة "(8) و لذلك

فالفن برأي أفلاطون غير مجد، إن الفنان أو الشاعر " يقدم للناس صورة سطحية للعالم تحول بينهم و بين جوهر المعرفة"(9) ثم إن الشعراء يهدفون إلى إثارة عواطف المتلقي و انفعالاته فقط ، إنهم يتوجهون إلى العاطفة لا إلى العقل و في هذا خطر كبير على النشء فبدلا من تنمية عقله ة تربيته على الشجاعة و البطولة تستثار لديه عاطفتي الشفقة و الخوف مما يجعل الناس مستسلمين ضعفاء.

انشغل أفلاطون أيضا بمسألة مصدر الشعر أو ما عرف بنظرية الإلهام ، حيث ذهب إلى أن الشعر " ضرب من الهذيان يجري على ألسنة المحمومين الذين فقدوا وعيهم ، و انطلقوا يقولون الضعر دون وعي أو إدراك لما يقولون و دون جهد يبذلونه ، و كأن الشعراء مجانين فقدوا عقولهم ، و تسلطت الآلهة على ألسنتهم لتجري عليها ما تشاء"(10) ، و لعل القارئ يتساءل هنا : إذا كان الشعر إلهاما من الآلهة فهل سيبتعد عن الحقيقة و القيم المثالية؟

يعد أفلاطون –رغم هذا–المؤسس الأول لفكرة الانعكاس ، فالفن مرآة عاكسة ليس إلا ، يقول أفلاطون:" إن الفن أيسر سبيل إلى تقديم صورة سطحية للعالم بأكمله ،فالفنان يدعي لنفسه القدرة على محاكاة كل شيء ، أما السبيل إلى ذلك فهو أن تأخذ مرآة و تديرها إلى كل الجهات"(11) و أفلاطون بقوله هذا يحط دائما من عمل الفنان و ينفي عنه الإبداع و التفكير الخلاق ، فهو"يصور" دون أن يخلق "المعنى" الذي هو مدار اهتمام الفيلسوف.

أخيرا نقول إن أهمية أفلاطون بالغة في النقد الأدبي ، فقد صاغ نظرية نقدية انشغلت بأسئلة هامة تخص جوهر الإبداع ، و هي أسئلة ما تزال تطرح حتى اليوم على اختلاف بين النقاد في الإجابة عليها.